أدب السجون

الكتابة عن التجربة الاعتقالية ليست جديدة على الساحتين الفلسطينية والعربية، وحتى العالمية، وممن كتبوا بهذا الشأن: خليل بيدس صاحب كتاب "أدب السجون" الذي صدر بدايات القرن العشرين زمن الانتداب البريطاني، وكتب الشيخ سعيد الكرمي قصائد داخل السجون العثمانية أواخر العهد العثماني، كما كتب إبراهيم طوقان قصيدته الشهيرة العام 1930 تخليدًا للشهداء عطا الزير، ومحمد جمجوم، وفؤاد حجازي، وكتب الشاعر الشعبي عوض النابلسي بنعل حذائه على جدران زنزانته ليلة إعدامه في العام 1937 قصيدته الشهيرة "ظنيت النا ملوك تمشي وراها رجال"، وكتب الدكتور أسعد عبد الرحمن في بداية سبعينيات

obeikandl.com

القرن الماضي "يوميات سجين"، كما صدرت مجموعة قصص "ساعات ما قبل الفجر" للأديب محمد خليل عليان في بداية ثمانينيات القرن الماضي، و"زنزانة رقم صفر" ليعقوب أحمد يعقوب، و"أيام مشينة خلف القضبان" لمحمد أحمد أبو لبن، و"ترانيم من خلف القضبان" لعبد الفتاح حمايل، و"رسائل لم تصل بعد" ومجموعة "سجينة" للراحل عزت الغزاوي، و"قبّل الأرض واستراح" لسامي الكيلاني، و"نداء من وراء القضبان" و"عناق الأصابع" لعادل وزوز، و(الزنزانة رقم 706) لجبريل الرجوب، وروايتا "ستائر العتمة" و"مدفن الأحياء" وحكاية "العمّ عز الدين" لوليد الهودلي، و"تحت السماء الثامنه" لنمر شعبان ومحمود الصفدي، و"أحلام بالحرية" لعائشة عودة.

وفي السنوات القليلة الماضية، صدر كتابان لراسم عبيدات عن ذكرياته في الأسر، وفي العام 2005 صدر للنائب حسام خضر كتاب "الاعتقال والمعتقلون بين الاعتراف والصمود"، وفي العام 2007 صدرت رواية "قيثارة الرمل" لنافذ الرفاعي، ورواية "المسكوبية" لأسامة العيسة، وفي العام 2011 صدر"الأبواب المنسية" للمتوكل طه، ورواية "سجن السجن" لعصمت منصور.

كما صدر أكثر من كتاب لحسن عبد الله عن السجون أيضًا، ومجموعة روايات لفاضل يونس، وأعمال أخرى لفلسطينيين ذاقوا مرارة السجن.

وأدب السجون فرض نفسه كظاهرة أدبية في الأدب الفلسطيني الحديث، أفرزتها خصوصية الوضع الفلسطيني، مع التذكير أنها بدأت قبل احتلال حزيران 1967، فالشعراء الفلسطينيون الكبار: محمود درويش، وسميح القاسم، وتوفيق زياد، وغيرهم، تعرضوا للاعتقال قبل ذلك، وكتبوا أشعارهم داخل السجون أيضًا، والشاعر معين بسيسو كتب"دفاتر فلسطينية" عن تجربته الاعتقالية في سجن الواحات في مصر أيضًا.

كما أن أدب السجون والكتابة عنها وعن عذاباتها، معروفة منذ القدم عربيًّا، وعالميًّا أيضًا، فقد كتب الروائي عبد الرحمن منيف روايتي"شرق المتوسط"، و"الآن هنا"، عن الاعتقال والتعذيب في سجون دول شرق البحر المتوسط. وكتب فاضل الغزاوي روايته" القلعة الخامسة"، وديوان الشاعر المصري أحمد فؤاد نجم "الفاجومي". ومنها ما أورده الأستاذ محمد الحسناوي في دراسته المنشورة في مجلة "أخبار الثقافة الجزائرية" والمعنونة بـ"أدب السجون في رواية ما لا ترونه" للشاعر والروائي السوري سليم عبد القادر، و"تجربة السجن في الأدب الأندلسي" لرشا عبد الله الخطيب"، و"السجون وأثرها في شعر العرب" لأحمد ممتاز البزرة، و"السجون وأثرها في الآداب العربية من الجاهلية حتى العصر الأموي" لواضح الصمد، وهي مؤلفات تهتم بأدب العصور الماضية، أما

ما يهتم بأدب العصر الحديث ، فنذكر منها: "أدب السجون والمنافي في فترة الاحتلال الفرنسي" ليحيى الشيخ صالح، و"شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر" لسالم معروف المعوش". وأحدث دراسة في ذلك كتاب "القبض على الجمر" للدكتور محمد حُوَّر. أما النصوص الأدبية التي عكست تجربة السجن شعرًا أو نثرًا، فهي ليست قليلة، لا في أدبنا القديم، ولا في الأدب الحديث. نذكر منها: روميات أبي فراس الحمداني، وقصائد الحطيئة، وعلي ابن الجهم، وأمثالهم في الأدب القديم. أمّا في الأدب الحديث فنذكر: "حصاد السجن" لأحمد الصافي النجفي"، و"شاعر في النظارة- شاعر بين الجدران" لسليمان العيسى، وديوان "في غيابة الجب لمحمد بهار- محمد الحسناوي"، وديوان "تراتيل على أسوار تدمر" ليحيى البشيري، وكتاب "عندما غابت الشمس" لعبد الحليم خفاجي"، ورواية "خطوات في الليل" لمحمد الحسناوي.

كما يجدر التنويه إلى أن أدب السجون ليس حكرًا على الفلسطينيين والعرب فقط، بل هناك آخرون مثل شاعر تركيا العظيم ناظم حكمت، وشاعر تشيلي العظيم بابلو نيرودا، والروائي الروسي ديستويفسكي في روايته"منزل الأموات"، وآخرون، فالسجون موجودة، والتعذيب موجود في كل الدول منذ القديم وحتى أيامنا هذه، ولن يتوقف إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولاً.